الأمر بدخول بيت المقدس

obeikandl.com

obeikandl.com

الأمر بدخول بيت المقدس

ولما أمر الله موسى عليه السلام بعد عبوره البحر ونجاته ومن معه من فرعون وجنده أن يدخلوا أرض فلسطين في قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٠ـ٢٥] .

قال ابن كثير : يذكرهم نبى الله نعمة الله إليهم وإحسانه إليهم بالنعم الدنيوية والدينية ويأمرهم بالجهاد في سبيل الله ومقاتلة أعدائه فقال : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ ﴾ أى : تنكصوا على أعقابكم وتنكلوا عن الحق وعن قتال أعدائكم ﴿ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ أى : تخسروا بعد الربح وتنقصوا بعد الكمال ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ أى: عتاة كفرة متمردين ﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ خافوا من هؤلاء الجبارين ، وقد عاينوا هلاك

فرعون، وهو أجبر من هؤلاء وأشد بأسًا وأكثر جاهًا وأعظم جندًا ، وهذا يدل على أنهم ملومون فى هذه المقالة ومذمومون على هذه الحالة من الذلة على مقاتلة الأعداء ومقاومة المردة الأشقياء وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا آثار فيها مجازفات كثيرة باطلة ويدل العقل والنقل على خلافها من أنهم كانوا أشكالاً هائلة ضخامًا جدًا حتى إنهم ذكروا أن رسل بنى إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين وجعل يأخذهم واحدًا واحدا، ويلفهم فى أكمامه وسراويله وحجره وهم اثنا عشر رجلاً فجاء بهم فنثرهم بين يدى الملك ملك الجبارين فقال : ما هؤلاء ولم يعرف أنهم من بنى آدم حتى عرفوه، وكل هذه هزليات وخرافات لا حقيقة لها وأن الملك بعث معهم عنبًا تكفى الرجل عنبة واحدة منه وشيئًا من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشكالهم وهذا ليس صحيح ، وذكروا هنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعًا وثلث ذراع هكذا ذكره البغوى وغيره وليس بصحيح كما قدمنا بياناته عند قوله ﷺ : « **إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعًا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن** » قالوا : صعد عوج إلى قمة جبل فاقتلعها ثم أخذها بيديه يلقيها على جيش موسى فجاء طائر فنقر فى تلك الصخرة فخرقها فصارت طوقًا فى عنق عوج بن عنق ثم عمد موسى إليه فوثب فى الهواء عشرة أذرع وبيده عصا طولها عشرة أذرع فوصل إلى كعبه قدمه فقتله.

يروى هذا عن نوف البكالى ونقله ابن جرير عن ابن عباس وفى إسناده إليه نظر ثم هو مع هذا كله من الإسرائيليات وكل هذه من وضع جهال بنى إسرائيل فإن الأخبار الكاذبة قد كثرت عندهم ولا تمييز لهم بين صحتها وباطلها ثم لو كان هذا صحيحًا لكان بنو إسرائيل معذورين فى النكول عن قتالهم وقد ذمهم الله تعالى على نكولهم وعاقبهم بالتيه على ترك جهادهم

ومخالفتهم رسولهم وقد أشار عليهم رجلان صالحان منهم بالإقدام ونهاهم عن الإحجام ، ويقال أنهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ، قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدى والربيع بن أنس وغير واحد : ﴿ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ أى يخافون الله وقرأ بعضهم : « يُخافَون » أى : يهابون ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ أى بالإسلام والإيمان والطاعة والشجاعة ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أى إذا توكلتم على الله وإستعنتم به ولجأتم إليه نصركم الله على عدوكم وأيدكم عليهم وأظفركم بهم.

﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ فصمم ملؤهم على النكول عن الجهاد ووقع أمر عظيم ووهن كبير فيقال أن يوشع وكالب لما سمعا هذا الكلام شقا ثيابهما وأن موسى وهارون سجدا إعظامًا لهذا الكلام وغضبًا لله عز وجل وشفقة عليهم من وبيل المقاتلة ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

قال ابن عباس : اقض بينى وبينهم ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، عوقبوا على نكولهم بالتيهان فى الأرض يسيرون إلى غير مقصد ليلاً ونهارًا صباحًا ومساء ويقال : إنهم لم يخرج أحد من التيه ممن دخله بل ماتوا كلهم فى مدة أربعين سنة ولم يبق إلا زراريهم سوى يوشع بن نون وكالب عليهما السلام ، قال ابن كثير : لكن أصحاب محمد ﷺ يوم بدر لم يقولوا له كما قال قوم موسى لموسى بل لما استشارهم فى الذهاب إلى النفير تكلم الصديق فأحسن وتكلم غيره من المهاجرين حتى قال سعد بن معاذ : كأنك تعرض بنا يا رسول الله ؟ فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا

رجل وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا إنا لصبر فى الحرب صدق عند اللقاء لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن مخازم بن عبد الله الأخمس رضى الله عنه عن طارق بن شهاب أن المقداد قال لرسول الله ﷺ يوم بدر : يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون .

وهذا إسناد جيد من هذا الوجه وله طرق أخرى قال أحمد بسنده عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : لقد شهدت من المقداد مشهدًا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما عدل به أتى رسول الله ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكننا نقول نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك ، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يشرق لذلك وسر بذلك .

وهذا هو الفارق بين بنى إسرائيل وأمة محمد ﷺ فلما رفضوا القتال كتب الله عليهم التيه فى برية سيناء أربعين سنة يدورون حول أنفسهم داخل سيناء إلى أن مات هذا الجيل ولم يبق إلا يوشع بن نون وكالب وحيث توفى موسى عليه السلام وأخيه هارون فى التيه أيضًا وكان يوشع بن نون هو الذى قاد الشباب من بنى إسرائيل ودخل بهم الأرض المقدسة وفى فترة التيه حدثت كل الأحداث المذكورة فى هذا الكتاب وفيها أيضًا بناء قبة الزمان .

وقيل : إن هذا الحدث كان بعد أن رجع موسى من سيناء إلى مصر ببنى

إسرائيل بعد أن تلقى التوراة ؟ وأنهم كرهوا أن يتركوا ما هم فيه من النعيم فى مصر حيث جاءت آية المائدة : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا . . . ﴾ إلى آخر الآيات .

بناء قبة الزمان :

قال ابن كثير فى كتاب قصص الأنبياء قال : أهل الكتاب : وقد أمر الله موسى عليه السلام بعمل قبة من خشب الشمشاز وجلود الأنعام وشعر الأغنام وأمر بزينتها من الحرير المصبغ بالذهب والفضة على كيفيات مفصلة عند أهل الكتاب ولها عشر سرادقات ، طول كل واحدة منها ثمانية وعشرون ذراعًا وعرضه أربعة أذرع ولها أربعة أبواب وأطناب من حرير ودمقس مصبغ وفيها رفرف وصفائح من ذهب وفضة لكل زاوية بابان وأبواب أخرى كبيرة وستور من حرير مصبغ وغير ذلك مما يطول ذكره .

ويعمل تابوتان من خشب الشمشاز يكون طوله ذراعين ونصف وعرضه ذراعين ونصف ويكون مضببا بذهب خالص من داخله وخارجه وله أربع حلق فى أربع زواياه ويكون على حافتيه كرويًا من ذهب يقفون في صفه ملكان بأجنحة وهما متقابلان صفة رجل اسمه «بصليال» وأمره أن يعمل مائدة من خشب الشمشاز طولها ذراعان وعرضها ذراعان ونصف بها ضباب من ذهب وإكليل ذهب وبشفه مرتفعة بإكليل من ذهب وأربع حلق من نواحيها من ذهب مفرزة فى مثل الرمان من خشب ملبس ذهبًا وأن يعمل صحافًا ومصافى وقصاعًا على المائدة ويصنع منارة من ذهب دلى فيها ست قصيبات من ذهب من كل جانب ثلاثة على قصبة ثلاثة سرج وليكن فى المنارة أربعة قناديل ولتكن هى وجميع هذه الآنية من قنطار من ذهب صنع ذلك بصلصال أيضًا وهو الذى عمل المذبح أيضًا .

ونصبت هذه القبة أول يوم من ستهم وهو أول يوم من الربيع ونصب تابوت الشهادة وهو والله أعلم المذكور فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

وقد بسط هذا القول فى كتابهم مطولاً جداً وفيه شرائع لهم وأحكام وصفة قربانهم وكيفيته وفيه أن قبة الزمان كانت موجودة قبل عبادتهم العجل الذى هو متقدم على مجيئهم بيت المقدس وأنها كانت لهم كالكعبة يصلون فيها وإليها ويتقربون عندها وإن موسى عليه السلام كان إذا دخلها يقفون عندها وينزل عمود الغمام على بابها فيخرون عند ذلك سجداً لله عز وجل ويكلم الله موسى عليه السلام من ذلك العمود الغمام الذى هو نور ويخاطبه ويناجيه ويأمره وينهاه وهو واقف عند التابوت صامداً إلى ما بين الكروبين فإذا فصل الخطاب يخبر بنى إسرائيل بما أوحاه الله عز وجل إليه من الأوامر والنواهى .

وإذا تحاكموا إلى موسى عليه السلام فى شيء لم يكن عنده من الله فيه شيء يجيء إلى قبة الزمان ويقف عند التابوت ويصمد لما بين الكروبين فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الحكومة .

وقد كان هذا أمراً مشروعًا لهم فى زمانهم أعنى استعمال أوانى الذهب والفضة والحرير المصبغ واللآلئ فى معبدهم وعند مصلاهم فأما فى شريعتنا فلا ، بلى قد نهينا عن زخرفة المساجد وتزيينها لئلا تشغل المصلين كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما وسع فى مسجد رسول الله ﷺ الذى وكله علي عمارته : ابن للناس ما يكفهم وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس وقال ابن عباس : لا تزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى كنائسهم .

وهذا من باب التشريف والتكريم والتنزيه فهذه الأمة غير مشابهة من كان قبلهم من الأمم إذ جمع الله هممهم فى صلاتهم على التوجه إليه والإقبال عليه وصيانة أبصارهم وخواطرهم عن الانشغال والتفكير فى غير ما هم بصدده من العبادة العظيمة فلله الحمد والمنة .

هذا وقد كانت قبة الزمان هذه مع بنى إسرائيل فى التيه يصلون إليها وهى قبلتهم وكعبتهم وأمامهم كليم الله موسى عليه السلام ومقدم القربان أخوه هارون عليه السلام فلما مات هارون عليه السلام استمر بنو هارون فى الذى كان يليه أبوهم فى أمر القربان وهو فيه إلى الآن .

وقام بأعباء النبوة بعد موسى وتدبير الأمر من بعده فتاه يوشع بن نون عليه السلام وهو الذى دخل بهم بيت المقدس كما سيأتى بيانه .

والمقصود هنا أنه لما استقرت يده على بيت المقدس نصب هذه القبة على صخرة بيت المقدس فكانوا يصلون إليها فلما بادت صلوا إلى محلتها وهى الصخرة فلهذا كانت قبلة الأنبياء بعده إلى زمان رسول الله ﷺ وقد صلى إليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة وكان يجعل الكعبة بين يديه فلما هاجر أمر بالصلاة إلى بيت المقدس فصلى إليها ستة عشر شهراً وقيل : سبعة عشر شهراً.

ثم حولت القبلة إلى الكعبة وهى قبلة إبراهيم فى شعبان سنة اثنتين فى وقت صلاة العصر وقبيل الظهر وكما بسطنا ذلك فى التفسير عند قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٢-١٤٤] .

●● ●● ●●